

التوليد في النقد العربي

دراسة في المصطلح وتناسل النصوص

**Transformations of text and meaning in the Arab critical thought
A Study in the Term of Generating and Reproduction**

طالبة الدكتوراه: أمل عبدالله على ملكاوي

Amal Abdullah Ali malkawi

دكتوراه أدب ونقد، جامعة اليرموك، قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني: amal.malkawi1212@gmail.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة مصطلح التوليد وتناسل النصوص، وحضوره في النصوص الأدبية والنقدية، وتتبع مراحل تطوره والوقوف على أصوله وتحولاته عند النقاد القدماء بخاصة، وذلك من أجل تحديد الصور المتعددة للمصطلح ومفاهيمه، والعمل على قراءته في سياق النظرية النقدية العربية نظرياً وتطبيقياً. ويتجاوز البحث القراءة التراثية التاريخية للمصطلح؛ ليقف على تجلياته وتحولاته في الدراسات النقدية الحديثة التي تتقاطع معه في الطرح النظري والتطبيق الإجرائي. وهذا ما يمكن من رؤية الكيفية التي يستطيع فيها التراثي الحلول فيما راهن من المناهج والنظريات النقدية الحديثة، وهو ما يتضح مثلاً حين نربط بين مصطلح التوليد والتناسل الذي يمثل رؤية منهجية معاصرة لعملية إبداع النصوص وإعادة إنتاجها.

إن قراءة مصطلح التوليد واستقصاء أماكن وروده في النصوص التراثية، وتتبع تطوره، وعلاقاته بقضايا نقدية قديمة وحديثة مثل: قضية الشعراء المولدين والمولدين، والسرقات، والتناص وغيرها من الأنواع، لتضع أمامنا صورة جلية لمصطلح تراثي يمكن أن يقرأ وفق رؤى حديثة في عملية الإثراء المتبادل بين التراثي والمعاصر.

Abstract:

This research aims to study the term generating and reproduction of texts, and its presence in literary and critical texts, and to track the stages of its development and identify its origins and transformations among ancient critics in particular, to identify multiple images of the term and its concepts, and work on reading it in Arab critical theory theoretically And in practice. The research goes ahead with the historical reading of the term to reflect its manifestations and transformations in recent critical studies that intersect with it in theoretical presentation and procedural application. This makes it possible to see how heritage can solve existing approaches and modern critical theories. For example, when we link the two terms: reproduction and intertextuality, which represents a contemporary systematic vision of creating and reproducing texts.

Reading the term reproduction and investigating where it appears in the heritage texts, tracking its evolution, and its relationships with old and modern critical issues such as the new generation poets and the non-Arab poets, thefts, intertextuality and other types that gives us a clear picture of a heritage term that can be read according to recent insights in the process of mutual enrichment between heritage and contemporary.

المقدمة

مصطلح التوليد من أهم المصطلحات؛ لارتباطه بالحياة الإنسانية، وارتباطه بلغتنا العربية في جوانبها اللغوية والنقدية، اللغوية فيما تعنيه لنا مسألة توليد الألفاظ والمعاني عن طريق الترجمة والنحت والاشتقاق وغيرها، والنقدية فيما أثاره المصطلح من قضايا؛ وما تداخل معها وانبتق منها، وبخاصة في قضية الاختراع والإبداع من جانب؛ وفي المحاكاة والتقليد من جانب آخر.

وتأتي أهمية الدراسة في الدرجة الأولى في إلقاء الضوء على مصطلح لم يدرس سابقاً في باب النقد الأدبي، على الرغم من حيوية المصطلح وتمكنه من الظهور في النقد قديمه وحديثه، متداخلاً مع قضايا نقدية وأدبية كثيرة. ولعل أهم ما يميز المصطلح اتصاله بالتراث السابق وتناسل النصوص منه، وقدرته على الخلق والتجديد في النقد والأدب والإبداع؛ لذلك بدا لنا مصطلح التوليد نقطة وصل بين النصوص السابقة واللاحقة؛ ونقطة تحول وتطور.

ومن الجدير بالملاحظة أن مصطلح التوليد في بداياته الأولى لم يتجاوز حدود الاستعمال اللغوي، وبدأ الالتفات إليه مع بداية النهضة العلمية والأدبية، التي شهدتها البلاد العربية في العصر العباسي، وفي هذه الدراسة تتبع الباحثة مصطلح التوليد من بداياته في الأعمال النقدية المتنوعة، ابتداءً من الجاحظ، ووقفاً عند أبرز النقاد القدماء، أمثال ابن وكيع التنسي وابن أبي الإصبع المصري والمدني، وغيرهم، وتناولت مراحل تطور المصطلح في مواضيع متعددة، من نشأته كمصطلح في حيز الاستعمال الطبيعي بمفهومه اللغوي، إلى المسائل المتداخلة معه؛ وأهمها مسألة الشعراء المولدين والمولدين، وقضية السرقة، وأخيراً عرض لأنواعه وصوره المختلفة.

تسير الدراسة وفق المنهج الاستقرائي الاستنباطي بمحاذاة المنهج الوصفي، وتحاول رصد أماكن تواجد المصطلح في المؤلفات النقدية والأدبية، وبيان المواضع التي استخدم فيها ومدى فاعليته، واستنباط أبعاده وصوره والكشف عن مستوياته ووظيفته في العمل الإبداعي.

مفهوم التوليد

التوليد في اللغة مصدر وَلَدَ، وتَوَلَّدَ المرأة: جَعَلَهَا تَلِدُ، والوليد هو الصغير، والمَوْلَدَةُ: الأمة التي وَلَدَتْ بَيْنَ الْعَرَبِ ونشأت مَعَ أولادهم وتَأَدَّبَتْ بأدابهم (ابن منظور، مادة ولد)، وتَوَلَّدَ الشَّيْءُ مِنْ الشَّيْءِ، أي أنشأه واستخرجه منه، وتَوَلَّدَ الْكَهْرَبَاءُ، أي مركز إنتاج الطَّاقَةِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ، وولَدَ الشَّخْصُ الْكَلَامَ: استحدثه وابتدعه، وفي اللغة والأدب نقول: تَوَلَّدَ كَلِمَاتٌ جَدِيدَةٌ؛ أي اشتقاقها، والتوليد هو إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف الجديد، وعكسها التقليد. وفي الفلسفة والتصوف هو "منهج استخدمه سقراط لاستخلاص الأفكار الموجودة في الذَّهن، وذلك بإلقاء أسئلة مرتبة تعين على تذكُّر الحقائق الأوليّة" (رديبوش، 2014، ص128)

وفي الاصطلاح؛ التوليد هو: أن يُنشئ الشاعر معاني جديدة من مفردات وتراكيب سابقة، بحيث يُولَّد الاستخدام الجديد للتراكيب معنىً آخر، وهو وضع أو صياغة مصطلح جديد يعبر عن مفهوم محدد اعتماداً على آليات لغوية تتحكم في هذا الوضع، ويعرف التوليد بأنه: "عملية استخراج اللفظ الجديد، أو عملية استعمال اللفظ القديم في معنى جديد، سواء أكان اللفظ عربي الأصل أم كان معرباً، وعلى ذلك يمكن اعتبار التوليد بمثابة الإبداع الذي ينشئ تأليفاً في اللفظ أو في المعنى" (الأشهب، 2011، ص95)، وعليه كل جديد في علم المصطلح هو وليد.

وإن أمعنا النظر في المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة توليد، نجد أنها متعددة الدلالات والسياقات، إذ إن لها حضوراً في شتّى الميادين، ولها استخدامات شائعة ومتداولة في القديم والحديث، ويمكننا إجمال ما جاء به النقاد القدماء والدراسات المعاصرة عن مصطلح التوليد، أنه تفاعل أو تزواج بين الألفاظ والمعاني المتداولة لإنتاج صور ومعان جديدة، متوالدة عنها ومشابهة لها إلى حد ما، لكنها ليست هي، أو هو الذي يدرس النصوص الإبداعية وما يطرأ عليها من تغييرات، والروابط التي تجمعها مع النصوص السابقة.

مصطلح التوليد عند النقاد العرب

تناول نقاد العرب القدماء مصطلح التوليد في القضايا النقدية، ووظفوه في أعمالهم الأدبية، شأنه شأن أي مصطلح، إلا أن تعدد دلالات المصطلح فرضت استخدامات مختلفة له، حمل بعضها دلالات سلبية وأخرى إيجابية، وتشعبت صورته وتسمياته وأنواعه، وبدا معها مفهوم التوليد غنيًا وحيويًا في المجال الأدبي والنقدي.

في البداية ظهر مصطلح التوليد في أماكن متباينة في أعمال الجاحظ (255هـ) منها كتاب الحيوان وفي رسائله المتنوعة، إلا أن ظهوره لا يتجاوز الأقوال أو الأحكام العامة، وجاء بعضها خاصًا بالشعراء المولدين. بينما اقتصر ابن طباطبا (322هـ) في عيار الشعر على هؤلاء الشعراء المولدين، في خضم حديثه عن الشعر المحدث، والقضية النقدية المتعلقة به. وأورد ابن وكيع التنسي (393هـ) في كتابه المنصف للسارق والمسروق منه، لفظ التوليد في حديثه عن سرقات المتنبي، "التي قسمها إلى عشرة أنواع وجعل لهذه العشرة أضدادًا تساويها، وذكر التنسي مصطلح التوليد في العشرة الحسنة، ومنها؛ استخراج معنى من معنى، وتوليد معان محسنات في ألفاظ مختلفات" (عباس، 2001، ص 288) وعليه يمكن للباحث أن يعثر على مصطلح التوليد في مجمل أفكاره عن السرقة الحسنة، وأن يلتقط مادة جيدة حول المصطلح لديه.

وناقش ابن رشيق القيرواني (463هـ) في العمدة في محاسن الشعر وآدابه، بابًا تحت عنوان المخترع والبديع، أورد فيه مصطلح التوليد وقدم تعريفًا وافيًا له، و"هو أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه، أو يزيد فيه زيادة؛ فلذلك يسمى التوليد، وليس باختراع؛ لما فيه من الاقتداء بغيره، ولا يقال له أيضاً سرقة إذا كان ليس آخذاً على وجهه" (القيرواني 2012، ص 274)، وفي ضوء ما سبق، يتضح أن القيرواني ألم بجوانب جوهرية في مفهوم التوليد، لأنه قدم تعريفًا وافيًا إلى حد ما مقارنة بغيره، ويبدو أن القيرواني أدرك أمر تداخل المفهوم مع مفاهيم وقضايا أخرى؛ خاصة مع السرقة، وانتبه إلى أن التوليد خط متوسط بين التقليد والاختراع،

وشرح مصطلح التوليد بطريقة واضحة؛ في استخراج معنى من معنى، وحدد أن عملية الاستخراج لابد أن تكون من شاعر سابق، إما بالزيادة أو الحذف أو تبديل كلمة بكلمة، وهو يؤكد على عملية التأثير والتأثر في التوليد، وأهميتها في المجال النقدي.

وأفرد ابن أبي الإصبع المصري (654هـ) في كتابه تحرير التحبير في صناعة النثر، باباً مستقلاً لمصطلح التوليد؛ هو باب التوليد، تتبع المصري فيه التوليد وأنواعه، وناقش المصطلح مناقشة وافية، وجعل التوليد نتيجة للتزواج؛ بين الكلام والجمل، وبين المعاني، وناقش المصري المصطلح، وابتدأ حديثه عنه في قوله: "التوليد على ضربين: من الألفاظ ومن المعاني، فالذي من الألفاظ على ضربين أيضاً، توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره، وتوليده من لفظ نفسه، والأول هو أن يزوج المتكلم كلمة من لفظه إلى كلمة من غيره، فيتولد بينهما كلام ينقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية، وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة" (المصري، 1963، ص494)، وأورد المصري مجموعة من الشواهد على هذين الضربين موضحاً أن التوليد هو نتيجة تزواج لفظ مع لفظ أو معنى.

أما من جاء بعد ذلك أمثال؛ عبد القادر البغدادي (1093هـ) في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، فقد عرض المصطلح في حديثه عن أقسام التوليد عند ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير، ومثله فعل المحبي (1111) في كتابه (نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة)، وذكر ابن معصوم المدني (1120هـ) في أنوار الربيع في أنواع البديع، المصطلح أثناء تتبعه قضية السرقة، ويبدو أنه نقلها عن سابقه، لأنه لم يبدل الشواهد الشعرية القديمة، ولم يأت بفكرة جديدة قابلة للمناقشة.

ولا يمكننا قصر الحديث على مصطلح التوليد فيما ذكرناه من نقاد إلا أنهم الأبرز، فقد أتى ذكر مصطلح التوليد في مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار لابن خميس المقالي (639هـ)، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا لأبي عباس القلقشندي (821هـ)، وفي ريحانة الألبا وزهرة

الحياة الدنيا لشهاب الدين الخفاجي (1111هـ)، نهايك عن ورود المصطلح في صروف العلوم المختلفة حيث جاء المصطلح في المؤلفات اللغوية منها؛ مفتاح العلوم للسكاكي (626هـ)، والمؤلفات الفقهية والعقائدية مثل الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي (456هـ)، والطبية مثل القانون في الطب لابن سينا (428هـ)، والحاوي لأبي بكر الرازي (864هـ) وغيرها.

مصطلح التوليد ومراحل تطوره

مر مصطلح التوليد بمراحل متفاوتة، ظهر خلالها بأشكال متنوعة ودلالاته المتباينة. وفي ما يأتي محاولة رصد مراحل التطور والدلالات المتعلقة به، وملاحظة ما يتصل بهذه المراحل، وفي استعمال المصطلح عند أبرز الدارسين والنقاد، مع بيان مفاهيمه عبر الأزمنة المتعاقبة:

المرحلة الأولى: المصطلح في المفهوم اللغوي

يمكننا قراءة مصطلح التوليد في الأعمال النقدية والأدبية، للجاحظ (255هـ) في مواضع متعددة موزعة في كتبه ورسائله، إلا أن استخدامه للمصطلح جاء للدلالة على المعنى اللغوي العام، وجله بمعنى الابتداع والاستحداث، مثال ذلك حين ذكر المصطلح في تعليقه على ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل، يقول: "ولولا غَضَارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغُضَارُ، على أَنَّ الذي عَمِلْتُمْ ظاهرٌ فيه التوليد، منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينِيِّ!" (الجاحظ، 1965، ج1، ص26)، والغضار في هذا القول هو الإناء المصنوع من حبيبات لزجة، وهو يشير من خلاله إلى صنعة الصيني واختراعه، ومعنى التوليد فيه يوازي مفهوم الاختراع ودلالاته.

وفي موضع آخر من كتابه (البغال) يقول الجاحظ: "هذا حديث مصنوع، ومن توليد الروافض" (الجاحظ، 1995، ص18) أي من اختراع الروافض، وهو بمعنى اختراع الكلام وتأليفه، فالجاحظ عمل هنا على استخدام المصطلح في مدلوله العام، ولم يقم بدراسته كواحد من

المصطلحات النقدية الخاضعة للبحث، إنما استعمله في مكانه اللغوي الصحيح من جملة أقواله وتعليقاته، ولم يتفرد في استعمال مصطلح التوليد ولم يؤسس له على امتداد مصنفاته الأدبية والنقدية.

ومفهوم التوليد بدلالة الاختراع هو العتبة الأولى للدراسات المتنوعة في توليد فكرة من فكرة، ومعنى من معنى أو شيء من شيء، وقد يضيق هذا النطاق حتى يصير التوليد صنوًا للابتكار؛ كما في مراقصات ابن سعيد المغربي (685هـ) التي أشار إليها إحسان عباس في تاريخ النقد "ولذلك سمى ابن سعيد ما تمتع بالجدة من حيث الابتكار أو التوليد باسم المرقص وسمي ما دونه مما عليه آثاره من الابتداع (...) باسم المطرب" (عباس، 2001، ص 542)، ويمكن اعتبار هذه النقطة في تاريخ الأدب محورية، ذلك أن للتوليد علاقة بكل جديد مخترع، لذا سنجد في الموشحات والمعارضات وغيرها من الفنون.

والحقيقة أن مفهوم التوليد متماز مع معنى الاختراع، وقد ورد في تراثنا القديم في سياقات مختلفة، ومنها ما ورد في البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب (335هـ) في قوله: "وسمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر لما لا يشعر له غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى واختراعه، واستطراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف به غيره من المعاني، أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ، وصرف معنى إلى وجه من وجه آخر، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة" (الكاتب، 1969، ص 130)، والحقيقة أن ما جاء به الكاتب متمم لما جاء قبله في دراسات النقاد ومؤكّد على ظهور مصطلح التوليد في دائرة الاختراع، مما جعل تواجهه في دائرة الحيز الطبيعي.

المرحلة الثانية: اختلاط المصطلح في الدلالة على الشعراء المولّدين والمولّدين

تداخل مفهوم التوليد مع مصطلح مولّد ومصطلح مولّد، فالمولّد _بفتح اللام المشددة_ هو المستحدث من أي شيء، والمولّد _بكسر اللام المشددة_ هو دلالة على مَنْ وُلِدَ عند العرب ونشأ

معهم من أصول غير عربية، وكلا المصطلحين في اللغة والنقد متقارب حد الامتزاج، ودلالتهما متشابهة إلى حد ما، والملاحظة البادية تواتر ورود مصطلح المولّد ومصطلح المولّد ضمن مادة واحدة وهي (ولد)؛ بدلالات مختلفة وفروق واضحة، إلا أن التعامل معهما في النقد بدا وكأنهما مصطلح واحد، وذلك لأسباب أهمها تزامن ظهورهما في العصر العباسي زمن ازدهار الأدب وامتزاج الحضارات، وربما لأن أكثرية الشعراء المولّدين مولّدون، ومنهم: بشار بن برد (168هـ) وهو فارسي الأصل، وأبو نواس (199هـ) من أبٍ عربيٍّ دمشقيٍّ وأمٍ أحوازية، أما ابن الرومي (283هـ)، فهو رومي الأصل، ويذكر أصله ويؤكدّه في مواضع عدة في شعره، وأمّه من أصل فارسي.

والحقيقة القاطعة في كلا المصطلحين يؤكدّها الشعر ومظاهر التجديد فيه، حيث "دخل على لغة الشعر ألفاظ غريبة دعت إليها الحاجة، كالألفاظ العلمية والفلسفية وغيرها؛ مما يدل على أشياء حديثة العهد عند العرب، ودخل عليها أيضًا ألفاظ استعيرت من صلب اللغة لمعانٍ مستحدثة خلقتها الحضارة الجديدة" (البستاني، 2014، ص22) وعليه نلاحظ أن الألفاظ الغريبة والجديدة معًا لهما علاقة بالمولّد، والألفاظ المولّدة في العصر العباسي مرتبطة بالانفتاح الحضاري، الذي أكسبها خصائص متفردة عن العصور السابقة لها، في نطقها وهويتها ومعناها.

وفي هذا الشأن مثل الجاحظ (255هـ) مقياسًا موضوعيًا في الحكم على الشعر، وهو الجودة (الجاحظ، 1965، ج2، ص27)، هذا المقياس الذي انتهجه أغلب النقاد ومنهم ابن قتيبة والتي أعرب عنها في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) (ابن قتيبة، 1982، ج1، ص63)، وحذا ابن طباطبا (322هـ)، في عيار الشعر حذو الجاحظ وابن قتيبة، في استخدامه لفظة المولدين للدلالة على الشعراء المحدثين، وفي انتصاره لما هو جديد من الشعر "وستعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم، ولطفوا في تناول أصولها منهم، وتكثروا بإبداعها فسلمت لهم عند إدعائها" (ابن طباطبا، 2005، ص8)، ومن قول ابن طباطبا هذا يظهر مصطلح التوليد في قضية

جدلية؛ وهي القديم والجديد، ويبدو أنه ناقش المصطلح في ضوء هذه القضية معتمدًا على من سبقه، وقدم فيه نظراته الموضوعية، وعرض من خلال القضية مصطلح التوليد وصوره.

وفي التيار ذاته درس ابن رشيق القيرواني (463هـ) في باب المعاني المحدثّة؛ معاني المولدين وحركة تولدها من معاني المتقدمين (القيرواني، 2012، ج 2، ص 287-298)، شأنه شأن الجاحظ وابن طباطبا، ومن الجدير بالملاحظة أن هذه القضية تبادلتها المؤلفات النقدية والأدبية، لأنها مرتبطة بأعلام علا شأنهم في الشعر في ذلك العصر، وغالبية المناقشات النقدية في دراساتهم حول قضية الشعراء المولّدين محسوم فيها إلى صالح جودة الشعر.

و أما في شأن الشعراء المولّدين فالأمر مختلف، لأننا هنا بعيدين عن الجدة والحدثا، وفي موضع دراسة شعراء من أصول غير عربية، ولعل المصطلحات المعربة الواردة في سلسلة المعاجم اللغوية دليل على امتزاج المولّدين بالعرب امتزاجًا باقياً، إذ بات أثره واضحاً في الشعر والأدب والعلوم المتنوعة، في العصور القديمة وفي حياتنا الحاضرة، وشعر المولّدين هو الشعر الذي انطلق على ألسن شعراء من أصول غير عربية، أضافوا إليه ألفاظاً وأوضاعاً شعريةً ليست من تقاليد شعرنا العربي، ومنهم شعراء الفرس الذين أشاعوا استخدام المصطلحات الفارسية.

وعلى الرغم من استهجان العرب قديماً هذه المصطلحات بسبب غرابتها، إلا أنها اليوم مألوفة لدينا من وفرة استعمالها، والحقيقة القاطعة أن العرب "لم يعودوا يحكمون على الشعر والنثر بطبيعتهم العربية وحدها، فقد انضمت إليها في تكوين الحكم الأدبي الثقافات التي عرفوها وما أثرت في عقليّاتهم" (ضيف، 1954، ص 40)، وهذا فعلياً ما نجده ماثلاً في الشعر من خلال الكلمات الواحدة من الحضارات المختلفة؛ مثل بستان وأصلها فارسي من بوستان، دهلّيز، والدهليز وهو السرداب الطويل، وإبريق، وغيرها من أسماء الزهور والأطعمة.

وبدأت العروبة الهجينة الممزوجة بالعجمة في التماهي مع لغة الشعر؛ وبات الشعر العباسي مع هذه التحولات شعراً جديداً مختلفاً عن طرق العرب، وله طباع مستحدثة من الانفتاح

الحضاري، وعرف هذا الشعر باسم الشعر المولّد أو المحدث، وأصحابه مولّدين، ومع الزمن تطور مصطلح المولّد بحيث أصبح كل شاعر بعيد عن العربية الخاصة مولّداً.

وفيما يتصل بهذه القضية _ قضية الشعراء المولّدين _ عرض المظفر بن فضل العلوي (656هـ) في كتابه (نضرة الإغريض) موضوع الضرورة الشعرية "فيما يجوز للشاعر استعماله وما لا يجوز، وما يدرك به صواب القول ويجوز" (العلوي، 1976، ص292) ورسم خطة خاصة للشعراء المولّدين، إذ يجوز للمولد استعمال ما استعملته العرب في أشعارها من الضرورات، وفي المقابل لا يجوز للمولّد لاحقاً لا تستسيغه العربية، مثل الإقواء، وأيضاً لا يجوز له فيما يعرف بالإكفاء والإيطاء والسناد، وغيرها، ووضح في ذلك طريق المولّد وماله وما عليه في الشعر. وعليه تجسدت فكرة تحيطها مجموعة من الآراء تبتعد وتقترب من الحقيقة في أحقية الشعراء المولّدين في قول الشعر والتعبير عن الذات وممارسة طقوس العرب الشعرية، علماً أن ما بثه النحاة المتعصبون في دراساتهم لا يعدو أقوالاً لم تلبث أن زال أثرها مع مرور الزمن. ومع الزمن رسخت معاني وألفاظ وعادات المولّدين في الشعر، وفي الثقافة العربية.

المرحلة الثالثة: تداخل مصطلح التوليد مع قضية السرقة الأدبية

تداخل مصطلح التوليد مع مفهوم السرقة الأدبية، وتكرر ذكره عند النقاد من هذا المنطلق، في باب السرقة المحمودّة، "وقد وضع النقاد، والشعراء قديماً مجموعة من القواعد في التفرقة بين النصّ المسروق وسواه، فضبطوا عدداً من التكرار والتشابه التي تقي صاحبها من تهمة السرقة الأدبية، إذ لا يُعتَبَر مَنْ يستخدم تلك الأنماط سارقاً، أو مُتَجَنِّباً على نصّ غيره، ومنها: المشتركة والإحسان والتوليد، وغيرها. ومع هذا نلاحظ تواجد الشواهد الشعرية المعنية بالمعاني المشتركة في أبواب السرقة في بعض الدراسات النقدية، علماً أن الجرجاني نفاها من هذه تهمة، في قوله "فمتى نظرت أن تشبيه الحسن بالشمس والبدر، والجواد بالغيث والبحر (...) حكمت أن السرقة عنها منتفية، والأخذ بالاتباع مستحيل ممتنع"(الجرجاني، 1966، ص184) ويمكننا بعد هذا كله

أن نتيقن أن التوليد دخل في باب السرقة الأدبية حيناً وفي باب السرقات المحمودة حيناً آخر، وفي باب الاختراع أو الابتداع في بعض الدراسات.

ويمثل الأمدي (370هـ) مرحلة متقدمة في المجال النقدي، فيما عرضه في كتابه (الموازنة بين سرقات أبي تمام وسرقات البحتري)، وهو في طليعة من تباحث في السرقات المحمودة والمذمومة، حيث أكد أن السرق لا يوجد في المعاني المشتركة، وإنما في المعاني المخترعة الخاصة. أما الاشتراك في المعاني بين شاعرين متقاربين فأمر طبيعي، ورغم أن ما تناوله من شواهد شعرية هو ضمن السرقة المحمودة من حسن الأخذ والاتباع وغيرها _ وهي صور من صور التوليد _، إلا ورودها في باب السرقات أخرجها من دائرة الموازنة إلى تهمة السرقة، وفي هذا ناقش ابن أبي الطاهر ما عده الأمدي من سرقات أبي تمام والبحتري وحاول تصحيح الأبيات وإخراجها من دائرة السرقة، يقول: "ومما نسبته ابن أبي طاهر فيه السرقة وليس بمسروق؛ لأنه مما يشترك الناس فيه من المعاني، ويجري على ألسنتهم" (الأمدي، 1992، ج1، ص 123)، وللعلم أن ابن أبي الطاهر أيد الأمدي في بعضها أنها مسروقة، والحقيقة أنها بعيدة عن مفهوم السرقة، وأقرب إلى مفهوم التوليد وحسن الأخذ وتوارد الخواطر.

وذهب ابن وكيع التنسي (393هـ) مذهب الأمدي في قضية السرقة، في كتابه (المنصف للسارق والمسروق منه) إلا أنه بالغ فيها اختلط الأمر عنده بين التوليد والتأثر وبين السرقة؛ في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي، وبان التناقض في كتابه واضحاً، حيث حاول انصاف المتنبي وطعنه في ذات الوقت، ففي كتابه ناقش "ابتكارات المتنبي، وما أكثرها، وما أبعد من الانصاف منها" (عباس، 2001، 293)، ولعل مراده فيها كيدي ضد المتنبي، إذ اتخذ جانب الإنصاف في السرقات المحمودة، وجانب الاجحاف في ما يقابلها من سرقات مذمومة، وجميعها في نظره سرقة في النهاية.

ويبدو أن مصطلح التوليد مع ابن وكيع، حاضر في السرقة المحموده في باب (تفسير وجوه السرقات) (التنسي، 1994، ص103)، ومن الأمثلة عليه في (المنصف) قول أبي نواس: [من الرمل]

واسقّينها من كميّت تدع الليل نهـاراً
فاشتق من ذلك: [من البسيط]

لا ينزل الليل حيث حلت فالدهر شرابها نهـارُ
وعلى هذا عقب التنسي قائلاً "وكل هذه معان متقاربات وألفاظ متناسبات مولد بعضها بعضاً" (التنسي، 1994 ص520)، ولعل التنسي هنا أتى على مصطلح التوليد أو مولد في باب السرقات المحموده بصرف النظر عن محتوى كتابه المتوجه في غالبه إلى الانتقاد، ومن سرقات المتنبي في (المنصف) قوله:

فيا عجباً مني أحاولُ وصفهُ وقدّ فنيت فيه القراطيسُ والصُّحفُ
قال أبو تمام:

تركتهُم سيراً لو أنّها كُتبت لم تُبق في الأرض قرطاساً ولا قَلماً
وعلق التنسي عليه بقوله المنقول من رسالة الحاتمي (الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره) في الأسلوب ذاته: "القرطاس محتاج إلى القلم، والقراطيس والصحف في معنى متقارب، فأبو تمام أسبق وأحدق وكلامه أرجح فهو أولى بقوله" (التنسي، 1994، ص 520)، ولو تمعنا في البيت فإن الناظر لن يجد أي سرقة فيها ذلك، لأن القرطاس والقلم والصحف على محمل الألفاظ المتداولة، والحقيقة البادية فيهما؛ أن المتنبي ولّد بيته من الألفاظ والمعاني المشتركة الموجودة في بيت أبي تمام. وربما هذا مشابهه للموقف من شعر أبي تمام، وهذه الحرب الأدبية مدعاة إلى تشابك مصطلح التوليد مع قضية السرقة.

ويذهب محمد مندور في كتابه النقد المنهجي عند العرب "أن السرقات قبل ابن وكيع لم تظهر إلا عندما ظهر أبو تمام وقيام خصومة حوله، ومنهم من قال إن أمر السرقات قبل ذلك" (مندور، 1996، ص 357)، ويضيف مندور أن بعض النقاد لم يفرق بين السرقة و التأثير، وأن الخصومة حول المتنبي لعوامل شخصية على الرغم أن منافسي المتنبي تأثروا به، وهذا بحد ذاته دليل قاطع على موهبته، إلا أنه لم يسلم من موضوع السرقة.

وفي دفاع الجرجاني (393هـ) عن المتنبي شاهدنا صور التوليد مثبتة في مؤلفه، ولو أنه لم يصرح بها، إلا أنه في مناقشة سرقات المتنبي اقتدى بآلياتها القائمة على التأثير والتأثر وفي صورها من حسن الأخذ والاتباع، ولا شك أن المتنبي تفوق على غيره، وهذا التفوق مدعاة إلى إعادة النظر في شعره من جديد، ودحض التهم عنه وهذا ما فعله القاضي الجرجاني في (الوساطة بين المتنبي وخصومه) خاصة في السرقة الممدوحة، يقول فيها: "ومتى جاءت السرقة هذا المجيء لم تعد من المعاييب، ولم تحص في جملة المثالب، وكان صاحبها بالتفضيل أحق" (الجرجاني، 1966، ص 188).

ويدافع الجرجاني عن المتنبي من خلال مقارنة شعره مع شعر غيره، ومعها نلاحظ سمة تتاسل النصوص وحسن الأخذ والتفوق، ومنها قول البحتري: [من الكامل]

ومظفر بالمجد إدراكاته في الحظ زائدة على أوطاره

أبو الطيب- وقد فسر ما أغفله البحتري، يقول:

تمسي الأمانى صرعى دون مبلغه فما يقول لشيء: ليت ذلك لي

لاشك أن هذا التفسير الذي أضافه المتنبي، لا يحمل على السرقة لأن المتنبي تفوق على البحتري "يقول: إنه بلغ فوق ما يتمناه، فلا يرى شيئاً لم يصل إليه، فيتمنى أن يكون له ! بل إذا تمنى شيئاً

وصل إليه، وإلى ما هو خير منه" (المعري، 1984، ص272)، وهو في هذا ينظر إلى قول
عنتره العبسي:

ألا قاتل الله الطَّلُولَ البواليَا وقاتل ذكراك السَّنين الخواليَا
وقيلك للشَّيء الَّذي لا تناله إذا ما حلا في العين: يا ليت ذا ليَا!

هذا التناسل الواضح في الأبيات لا يندرج في أبواب السرقة وإن بدا لنا في بعض المصادر سرقة،
إنما هو صورة من صور التوليد أو التطور. والحقيقة أننا اليوم لا نجد في شعر المتنبي أي سرقة
إنما نقرأ في تاريخ النقد سرقات الشعراء وعيوبها، وهي بعيدة عنها إنما هي أبيات يتناسل بعضها
من بعضها في الألفاظ والمعاني والأغراض وغيرها.

ولو تأملنا مفهوم التوليد عند ابن رشيق القيرواني (463هـ) في (العمدة) لوجدناه متداخلاً مع
مفهوم السرقة أيضاً، في قوله: "... التوليد ليس باختراع؛ لما فيه من الاقتداء بغيره، ولا يقال له
أيضاً سرقة إذا كان ليس آخذاً على وجهه" (القيرواني، 2012، ص274)، وفي هذا المفهوم نفى
القيرواني صفة الاختراع والأصالة، لما فيه من الاقتداء والتقليد، ونفى تهمة السرقة في الاتباع
الطبيعي، وهذا التعريف يقارب مفهوم السرقة المحمودة المتناولة في الدراسات النقدية، ويوافق
القيرواني فيما قدمه من أمثلة مفهوم حسن الاتباع والتوليد، والحقيقة أن القيرواني أدرك من البداية
عمق التداخل إلا أنه نفاه في معرض كلامه.

وربما أدركها المظفر بن فضل العلوي أيضاً (656هـ) عندما عرض مصطلح التوليد في باب
السرقة في كتابه (نظرة الإغريض) في قسميها؛ المحمود والمذموم، ولعل ما جاء به دال على
فطنة الشاعر للسرقات وتداخلها مع التوليد النقدي خاصة في تفصيله للسرقة المحموده؛ "(العلوي،
1976، ص206-297)، ومن الأمثلة التي ساقها العلوي، ما أنشده الأصمعي:

غلام وغي نفَّهها فأودى وقد طحنته مرادة طحون

فإن على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جنت المنون

وقيل، أخذه أبو تمام وقال:

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه
وعلق العلوي عليه "أن المعنى متفق واللفظ مختلف، وهذا أحسن وجوه السرقات" (العلوي،
ص 207)، والحق أن ما ذكره العلوي في هذا الباب، هو صلب مفهوم التوليد، إلا أن محتواه
مشابه إلى درجة كبيرة مع ما جاء به التنسي، في المضمون وفي تداخل التوليد مع السرقة.

وأقر ابن معصوم المدني (1120هـ) في حديثه عن التوليد في (أنوار الربيع) أن توليد
الألفاظ من السرقة في قوله: "التوليد من الألفاظ ولا يعد من المحاسن، بل هو إلى السرقة أقرب،
لأنه عبارة عن أن يستحسن الشاعر ألفاظاً من شعر غيره فيسلبها منه، ويضمنها معنى غير معناها
الأول، ويوردها في شعره" (المدني، 1969، ج 5، ص 323)، وضرب مثلاً عن ابن تمام في
استحسانه لفظه قيد الأوابد أي الوحوش في وصف الفرس لامرئ القيس، وحين نقلها إلى الغزل
في أحد أبياته الشعرية، عد ذلك من باب السرقة، في حين أنه نفاها عن التوليد المعنوي، ولا شك
أننا مع حديث ابن معصوم تيقنا من التداخل المقصود.

وهنا ولا حاجة للتأكيد أن مصطلح التوليد دخل حقل السرقة، وهذه السرقة التي لم تتضح أبعادها
في الدراسات النقدية القديمة مثل سرقة محمودة، مشابهة لما نعرفه اليوم في مفهوم التناص وتوارد
الخواطر، والحقيقة أن قضية السرقة قديماً لم تؤخذ لضبط السرقة بل للتقليل من رواد الأدب،
ويبدو مما سبق لنا أنّ مصطلح التوليد في المعاني سرقة؛ وهذا ما اتفق عليه النقاد، إلا أنها سرقة
لا تلغي المعاني المبتكرة والإبداع عند أصحابها.

المرحلة الرابعة: التوليد وأنواعه

بدأ مصطلح التوليد يأخذ أشكالاً مختلفة وأقساماً منطقية، تم إيرادها في أبواب خاصة في (تحرير التحبير في صناعة النثر) لابن أبي الاصبع المصري (654هـ)، علماً أن باب التوليد عنده في الأبواب المتفرعة من باب السرقات، وقد ناقش المصري في كتابه مصطلح التوليد، وابتدأ حديثه فيه "التوليد على ضربين: من الألفاظ ومن المعاني، فالذي من الألفاظ على ضربين أيضاً، توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره، وتوليده من لفظ نفسه، والأول هو أن يزوج المتكلم كلمة من لفظه إلى كلمة من غيره، فيتولد بينهما كلام ينقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية، وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة" (المصري، 1963، ص494)، أما توليد المعاني "هو أن يزوج المتكلم معنى من معاني البديع بمعنى فيه، فيتولد بينهما فن مدمج" (المصري، 1963، ص497)، وأورد المصري مجموعة من الشواهد على هذين الضربين موضحاً أن التوليد يتأتى من التزاوج والفن المدمج.

فالتوليد يحصل في تزاوج الألفاظ أي بإضافة كلمة إلى كلمة سمعها من غيره أو أن يصوغ الأبيات من جديد من كلامه، وقد أورده المصري في مواضع متنوعة وشواهد عديدة؛ ووصف بعض الأبيات من لفظ نفسه، أنها تحتوي على توليد وإغراب وإدماج، وقدم المصري هذه الأوصاف مع شاهد معروف في النظم البديعي للشعر، قائلاً: "فيها من لطيف التوليد قول بعض العجم، وهو توليد المتكلم ما يريد من لفظ نفسه"، مثل قول الشاعر: [من الوافر]

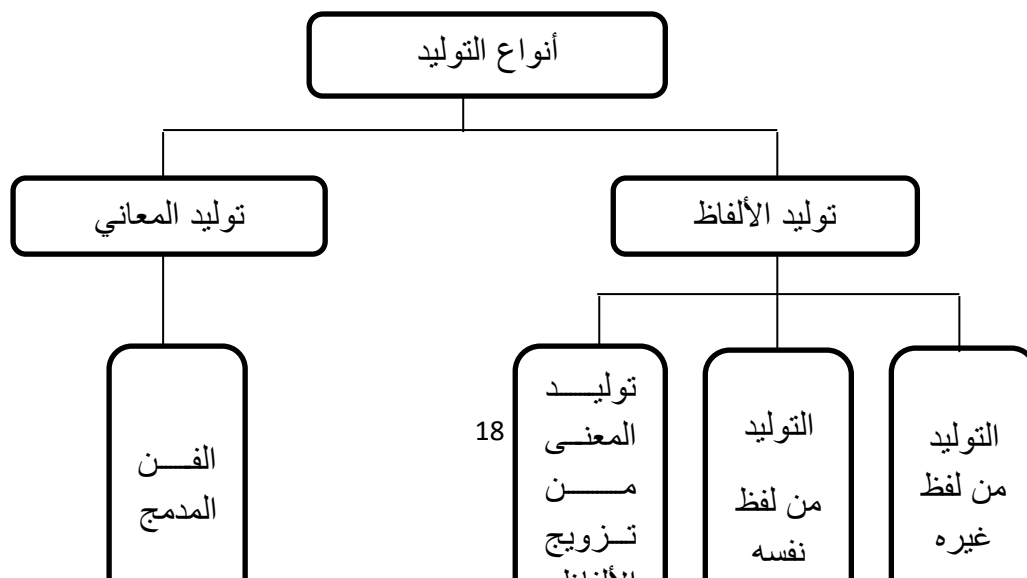
كأن عذاره في الخد لام ومبسمه الشبي العذب صاد

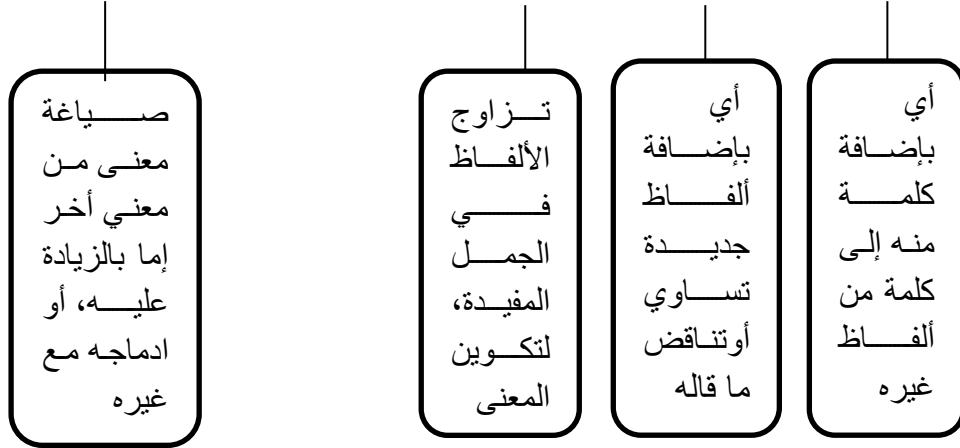
وطرة شعره ليل بهيم فلا عجب إذا سرق الرقاد

ويتابع المصري توضيحه في الأبيات قائلاً: "فإن هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام، وتشبيه الفم بالصاد لفظاً لص، وولد من معناها ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم، فحصل في البيت توليد وإغراب وإدماج، وهذا من أغرب ما سمعت في ذلك، وهو الثاني من

التوليد اللفظي"(المصري، 1976، ص495). وعليه بدا الإغراب في الأبيات من تلاعب ألفاظها على هيئة غريبة، وفي المعنى والأسلوب، وبدا الإدماج في تآلف ألفاظها وتناغمها في صورة واضحة، وفي صياغتها الفريدة، ففي البيت الأول (لام + صاد = لص) وهي تساوي لفظة = (سرق) في البيت الثاني، لأن اللص يقوم بفعل السرقة، وهنا أراد بها الشاعر سرقة النوم، وما أراده المصري من فن الإدماج.

وفي ما يلي رسم توضيحي لأنواع التوليد وفق التقسيمات التي اقتضاها المصري، ورؤيته فيها:





ومن هذا يبدو أن المصري استعمل استراتيجية الفن المدمج و التزاوج، ويأتي الفن المدمج في المعاني هو حسن السبك بين الجمل في الكلام، مثل أن يدمج الشاعر الإفتخار مع المدح، أما التزاوج قريب من مصطلح التوليد، لذا فإن هناك علاقة وطيدة بين التزاوج والتوليد، وهي علاقة السبب بالمسبب "فنصوص النوع الأدبي هي، وفي الوقت نفسه، في حالتين: أولهما تواصل وتشابه تتمثل فيما هو مشترك بينهما، وفي ثانيهما حالة انقطاع وتميز تتمثل في ما هو منفرد، فإن لم تتحقق هذه الفرادة ليس من إبداع حقيقي" (زراقيط، 2008، ص881) وعلى هذا يعد التوليد الأدبي سبباً أو نتيجة من تزاوج النصوص وغيرها، وينبغي أن يكون من الفرادة فيما يؤهله أن يكون إبداعاً مستقلاً له مميزاته الخاصة.

المرحلة الخامسة: صور التوليد

للتوليد صور متعددة تتفق مع أنواعه؛ في السمات العامة والأسلوب، وقد تم التعبير عنها في اصطلاحات متنوعة ومفاهيم متقاربة في المعنى والدلالة؛ منها: حسن الأخذ و حسن الاتباع، وتوارد الخواطر والتضمين والمعارضات في الدراسات القديمة، والإحالة والتناص في الحديث

وغيرها، وتلعب الذاكرة الدور الأساسي في قيام هذه المصطلحات على الساحة النقدية، لأنها تنطلق من الذاكرة لاستدعاء النصوص السابقة، وهذه الاستعادة هي بحد ذاتها إعادة خلق وإحياء للنماذج السابقة وبهذا يأخذ العمل شكلاً جديداً، وهذا الشكل الجديد هو موضوع مصطلح التوليد.

ولهذه الأنواع خطوط اتفاق وافتراق مع مصطلح التوليد، لابد من ملاحظتها، وملاحظة العلاقة

بين السابق واللاحق فيها:

1. حسن الأخذ والاتباع

ومن المصطلحات المتناولة في النقد بمفهوم التقليد حسن الأخذ، وهي الصورة الموازية لمصطلح التوليد والقريبة منه؛ ومن المعروف أن الأخذ في اللغة هو أخذ الشيء: أي تناوله وحصل عليه، ومثلها الاتباع، والأخذ في الاصطلاح البلاغي هو السرقة، وجاء في (معجم مصطلحات النقد) لأحمد مطلوب أن حسن الأخذ هو "مسألة لابد منها لأن اللاحق يتأثر بالسابق" (مطلوب، 2001، ص432)، وهذه المسألة هي قوام التوليد بأنواعه، وقد تناول أبو هلال العسكري حسن الأخذ في إحدى أبوابه وأسهب فيه، وهو بمعنى حسن الاتباع، يقول: "ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض التأليف" (العسكري، 1952، ص196)، ومحور حديث العسكري هنا في المعاني المتداولة وشروط استخدامها، وذلك بإلباسها الألفاظ الجديدة والزيادة وعليها؛ علمًا أن العسكري في معرض حديثه وجد المعاني بعيدة عن أي عيب، وهذا ما ناقشة النقاد القدماء حول الألفاظ والمعاني في حسن الأخذ وحسن الاتباع.

2. توارد الخواطر

ومن صور التوليد توارد الخواطر ومثلها توارد الأفكار، هي مطابقة الأشعار في المعاني والألفاظ من غير أخذ ولا سماع، يقول ابن المنقذ "هو أن يقول الشاعر بيتاً فيقوله آخر من غير أن

يسمعه"(ابن المنقذ، ص217)، ومن الأمثلة المرافقة لهذا المصطلح ما قاله امرؤ القيس وطرفة بن

العبد، في البيت المشهور: [من الطويل]

وقوفاً بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمل
والاختلاف أن طرفة استعمل تجلد بدل تجمل، يقول المظفر العلوي تعقيباً على التوارد في شأن
هذه الأبيات وغيرها "إنما سموه توارداً أنفة من ذكر السرقة وتكبراً عن السمة بها" (العلوي،
1978، ص217)، فهو من باب التلطف والتخفيف، أما العسكري فقد تناول هذا المثال في باب
قبح الأخذ، وأما ما تناولته المصادر في شأن التوارد مقارب لحسن الأخذ والاتباع.

3. المعارضة

والمعارضة الأدبية بأشكالها، صورة من صور التوليد؛ ذلك أن الشاعر يخلق قصيدته من
قصيدة سابقة ويولد منها قصيدة جديدة، تشترك مع سابقتها في خصائص معينة، مع المحافظة على
تفرداها ومكانتها، والمعارضة تكشف عن مواطن إبداعية مستحدثة، متولدة عن إبداع آخر سبقه
زمانياً بصرف النظر عن المدة الزمانية؛ سواء أكان شعراً أم نثراً، إلا أن الانتشار من صالح
المعارضة الشعرية، "والمعارضة في هذا السياق تتجاوز التقليد إلى الإبداع، والمتابعة إلى
الابتكار، يمزج فيها الشاعر بين القديم والحديث"(مصطفى، 2009، ص904)، ورغم أن
بعض الآراء رأت في المعارضة وجهاً من وجوه التقليد، إلا أنه في هيكله العام لا ينم إلا عن
براعة صاحبه. ومن الجدير بالذكر أن المعارضات لم تك معروفة في تلك الآونة بهذا المسمى كما
نعرفها اليوم، بل كانت في مسميات متشابهة مثل النقائض والبديعيات وغيرها.

المعارضات في بناءها العام قائمة على تناسل النصوص، لأن التأثير هنا لا يطل الألفاظ
والمعاني فحسب بل يتجاوزها إلى الشكل في الوزن والروي والبحر وغيرها، ونحن هنا بإزاء
بعض نماذجها في عملية التناسل ابتداء من العصر الإسلامي الأول إلى العصر الحديث، ويتمثل

هذا النموذج في معارضة البردة، والبردة هي لامية كعب بن زهير (26هـ)، وتقع في ثمانين وخمسين بيتاً ومطلعها: [من البسيط]

بانّت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
ويبدو أن هذه القصيدة كان لها أثر واضح في نفوس الشعراء، ومن بينهم الأخطل (70هـ) الذي تأثر بها وعارضها مبتناً بالعبارة الاستفتاحية المتداولة (بانّت سعاد)، يقول: [من البسيط]

بانّت سعاد ففِي العَيْنَيْنِ مَلْمُولٌ مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الْجِسْمِ مَخْبُولٌ
وربما أن (بانّت سعاد) أصبح لها وقع تقليدي في الشعر؛ يشابه الوقوف على الأطلال في (قفا نبك)، ويروى عن الشيخ الإمام أبي محمد الخشاب أنه قال: "أمعنت التفتيش فلم أقع على أكثر من ستين قصيدة، أولها بانّت سعاد" (الحموي، 1993، ج1، ص766)، ولا عجب في هذا لأن (البردة) من روائع الشعر الإسلامي.

ومن المعروف أن للبوصيري (696هـ) قصيدة مسماه (البردة)، قيل أنه لم يعارض كعباً فيها، كل ما في الأمر أنه وقع على اختيار البردة اسمًا لها، ربما لأن الاسم نال حفاوة بين الشعراء، أو لأنها في موضوع المدائح النبوية، أو غير ذلك، ونذكر من مطلع القصيدة اختلاف حركة الروي، يقول البوصيري: [من البسيط]

أَمِنْ تَذَكُّرِ حِيرَانِ بِذِي سَلَمٍ مَرَجَّتْ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
وقيل أنه عارض بردة كعب بقصيدة أخرى، ومع هذا فإننا نجد هذه البردة على درجة عالية من الأهمية، فقد "عكف الدارسون والشعراء بالشرح والتحليل، واستلهم معانيها وألفاظها بالتضمين والتشطير والتخميس والمعارضة" (مبارك، ١٩٧١، ص ٢١٥ - ٢٢٦) ومن المعروف أن

البوصيري اشتهر بالمدائح النبوية، وتفوق فيها على غيره من الشعراء. (الصياغة وليس هناك عصر اسمه عصر المدائح النبوية...)

وفي العصر الحديث عارض أحمد شوقي بردة البوصيري في قصيدته المعروفة بنهج البردة، ومثل بذلك أسلوبه في المعارضة ومطلعها: [من البسيط]

ريم على القاع بين البان والعلم أحلّ سفك دمي في الأشهر
ومما لا شك فيه تفوق شوقي، وعلى هذا النمط وجدنا القصيدة في مختلف العصور في صور متنوعة والبدائية من (بانث سعاد) وما بعدها متوالد عنها ومتناسل في صور متنوعة في أسلوب المعارضة. (ترابط وإعادة)

4. التضمين

ومن صور التوليد أيضًا التضمين، وهو جعل الشيء في باطن شيء آخر في اللغة، وفي الأدب جعل نص داخل نص آخر، وقد عبّر عنه النقاد القدماء في مصطلحات كثيرة أولها الاحتذاء، الذي تناوله ابن سلام (231هـ) في طبقات الشعراء وهو "أن يحتذي على الكلام كلامه" (ابن سلام، ص40) أي أن يضيف عليه أبياتًا أو زيادة في الأقوال وغيرها، ويبدو أن ابن سلام قد تناول التضمين في تسميات كثيرة دون أن يصرح به، ومنها الاستزادة والاصطراف، ولعل هذه التسميات قريبة من مفهوم التوليد النقدي بدرجة كبيرة.

أما ابن المعتز (296هـ) في كتابه (البديع) فقد عدّ التضمين من محاسن الكلام، (ابن المعتز، ص64) دون أن يعرفه. ولم يكتمل تعريف إلا على يد أسامة بن منقذ (584هـ) في كتابه (البديع في البديع) حيث عرّف التضمين ومثّل عليه، وهو "أن يتضمن البيت كلمات من بيت آخر" (ابن منقذ، 1978، ص350)، ومع ابن منقذ ومن زامنه وسبقه تشكلت صورة التضمين في العصور

القديمة، أما في العصر الحديث فقد تشكلت صورة التضمين في الاقتباسات وفي ظاهرة التناص. وجميع هذه المصطلحات والتسميات وغيرها تحت مظلة مصطلح التوليد النقدي

5. التناص

التناص أساسه النص وهو إلا أن مفهوم التناص ارتبط ارتباطاً وثيقاً بما صنعه جوليا كرسيفا في (علم النص) المستند بالدرجة الأولى على الأعمال البنيوية، وفيه ناقشت مبدأ التأثير الواقع على النص من منطلق أدبي ونقدي مفاده أن النص مأخوذ من نصوص أخرى، في قولها "إن إنتاجية النص تقوم على ترحال النصوص والتداخل النصي، وفي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة متقطعة من نصوص أخرى" (كرستيفا، 1991، ص21) وفي هذا المفهوم بدت صورة من صور التوليد، في عملية تأثر اللاحق بالسابق، واحتواء النصوص الحديثة شيئاً من التراث.

وما قدمه جيرار جينيت في مفهوم التناص لا يقل أهمية عن جهود كرسيفا، والمميز في دراسته أنه قدم عدة مصطلحات تحمل مفهوم التوليد المتعارف عليه في هذه الدراسة، "وجعل التناص عنصراً واحداً؛ ضمن عناصر خمسة تشكل ما يطلق عليه: المتعاليات النصية؛ حيث يهرب النص من ذاته ويتعالى باحثاً عن شيء آخر" (جينيت، 1997، ص178)، وجميع هذه المصطلحات تلتقي في عملية تداخل النصوص.

ومما تقدم يبدو أن العلاقة الجامعة في صور التوليد المتنوعة تنضوي في مسألة التأثير والتأثر، وحصيلة هذه المسألة بادية في مبدأ المحاكاة، أي في محاكاة القديم أو السابق بصورة فنية جديدة. ولعل أهم ما يجمع هذه المصطلحات التماهي بين التقليد والتجديد، فجميعها تم دراسته في قوالب التقليد تارة و التجديد تارة، ويبقى النص الناجح هو الفيصل في هذه الأمور.

الخاتمة

بعد قراءة الباحثة / المصادر النقدية المعنية بمصطلح التوليد وغيره من المصطلحات النقدية والقضايا المتعلقة به، توصلت إلى الآتي:

- أ. يقدم مصطلح التوليد تصورا ثريا عن علاقة النصوص السابقة بالنصوص اللاحقة على نحو تتجلى فيه الأشكال المتعددة لحضور نص في نص آخر.
- ب. تداخل المصطلح مع السرقة الأدبية لا يعني عيباً فيه، وذلك ما ظهر في معالجات النقاد الذين وقفوا على ظاهرة التوليد وفصلوا القول في أبعادها المختلفة.
- ج. أن مسألة التأثير والتأثر هي الرابط الحقيقي في أنواع التوليد وصوره، وفي هذا التأثير وجهات نظر متعددة بين التقليد والتجديد.
- د. يقدم مصطلح التوليد جانباً جديداً في الدراسات النقدية والأدبية مبنية على تناسل النصوص، وترابطها، ذلك أن النصوص الإبداعية تتأسس على نصوص سابقة.

قائمة المصادر والمراجع

- الأشهب، خالد، المصطلح العربي البنية والتمثيل، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، الطبعة الأولى، 2011.
- استيتيه، سمير شريف، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، الطبعة 2، 2008.
- البستاني، بطرس: أدباء العرب في العصر العباسية، مؤسسة الهداوي، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 2014.
- البغدادي، عبدالقادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 1997.
- التنيسي، ابن وكيع أبو محمد الحسن بن علي الضبي، المنصف للسارق والمسروق منه، تحقيق عمر خليفة بن ادريس، جامعة قات يونس، بنغازي، الطبعة الأولى، 1994.
- الجاحظ، أبو عثمان بن عمر الكناني، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة – مصر، الطبعة 2، 1965.
- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر الكناني: رسائل الجاحظ، شرحه وعلق عليه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1999.

- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر الكناني، القول في البغال، تحقيق شارل بلا، دار الجيل، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1995.
- الجرجاني، القاضي علي بن عبدالعزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق علي البيجاوي وآخرون، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة- مصر، 1966.
- الحر، عبد المجيد، ابن الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1992.
- رديبوش، جورج: سقراط، ترجمة أحمد الأنصاري، دار آفاق، القاهرة- مصر الطبعة الأولى، 2014.
- زراقيط، عبدالمجيد، الأنواع الأدبية: بين تداخل الأنواع وتميز النوع، مؤتمر تداخل الأنواع الأدبية الثاني عشر في جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، الطبعة الأولى، 2008.
- زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي، طبعة دار الشعب ، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، ١٩٧١.
- زهدي، مصطفى عبدالرؤوف، المعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد 36 (الملحق)، 2009.
- الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة- مصر، الطبعة 2، 1954.
- ضيف، شوقي: النقد، دار المعارف، القاهرة- مصر، الطبعة 5، 1954.
- عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، عمان- الأردن، الطبعة الأولى، 2001.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري: الصناعتين الكتابية والشعر، تحقيق محمد علي البجاوي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1952.
- العلوي، ابن طباطبا محمد بن أحمد بن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة 2، 2005.
- العلوي، المظفر بن الفضل: نضرة في نصرة القريض، تحقيق نهى عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق- سورية، الطبعة الأولى، 1976.
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، مكتبة الأسرة الأردنية، وزارة الثقافة، عمان- الأردن، 2012.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1982.
- كرستيفا، جوليا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، الطبعة الأولى، 1991.
- مبارك، زكي: المدائح النبوية في الأدب العربي، طبعة دار الشعب ، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، ١٩٧١.
- المدني، علي صدر الدين بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، الجزء 5، 1969.
- المسدي، عبدالسلام، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، الطبعة الأولى، 1971.
- المصري، ابن أبي الأصبع، تحرير التحرير في صناعة النثر، تحقيق حنفي محمد شرف ومحمد عريضة، لجنة إحياء التراث، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى، 1963.

- مطلوب، أحمد: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 2001.
- المعري، أبو العلاء: المعجز أحمد، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق عبدالمجيد ذياب، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1984.
- مندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر، الطبعة الأولى، 1996.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، ، ادار صادر، بيروت- لبنان، الطبعة 3، 1996.
- ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي: البديع في البديع في نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1978.

الدراسات والمجلات العلمية:

- جنيت، جرار: من التناص إلى الأطراس، ترجمة المختار حسني، مجلة علامات، الجزء 25، المجلد 7، العراق، ستمبر 1997.
- مصطفى ، عبدالرؤف زهدي: المعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردني، المجلد 36 (الملحق)، 2009.
- مطاد، عبدالعزيز: المصطلح العربي وقضايا التوليد، مجلة دراسات مصطلحية، العدد 6، 2006